

محمد سعيد الريحاني

# دفاعاً عن القراءة

﴿حول أشكال النعوض بفعل القراءة عربياً﴾

رِيحَانِيَاتٌ

موقع "ريحانيات":

<http://www.raihani.ma>

البريد الإلكتروني:

[Mohamed\\_said\\_raihani@yahoo.com](mailto:Mohamed_said_raihani@yahoo.com)

البريد العادي:

صندوق البريد: 251، مدينة القصر الكبير 92150 / المغرب



محفوظة حقوق الطبع والنشر والترجمة

# لماذا لا نقرأ؟

## عن الأمية والقراءة:

في الستينيات من القرن الماضي، كان هناك تياران مهيمنان: تيار الخبز وتيار الحرية وكانت الاشكالية التي يختلفان حولها تتركز حول "أيهما أسبق: الخبز قبل الحرية أم الحرية قبل الخبز؟"...

ولأن لا أحد منهما أرسى دعائمها، لا خيار الخبز أولاً ولا خيار الحرية انتصر، انضافت إليهما قضية أخرى فرضتها الضرورة التاريخية دون الحاجة إلى مرجعيات إيديولوجية: الحق في التعليم والحق في المعرفة والحق في القراءة... فبلا مجتمع قارئ لاشيء يدوم: لا الوعود ولا المكاسب ولا خلود إلا للشطط والمناورة والكذب واللف والدوران...  
فما جدوى القراءة؟ ولماذا العمل على مجتمع قارئ؟

قد لا يستطيع المرء الجواب بشكل مقنع حتى يجد نفسه ضحية للبائع الذي ينصب نفسه سلطة لا تعلق عليها سلطة في توزيع الأثمان على حسب وجوه الزبناء بدل تحديد مكتوب لأثمان السلع المعروضة، وضحية للجابي الذي يتجاوز تحديد الأثمان على التذاكر، وضحية للسياسي الذي لا يقدم برنامجه السياسي لناخبيه خارج حزبه ولا يعمم المذكرات والمناشير على المناضلين داخل حزبه...  
في الوقت الذي تتعالى فيه الأصوات الخائفة من زحف هيمنة الصورة وطغيانها على أشكال تلقي المعرفة والحصول على المعلومة لدى الإنسان المعاصر، لا بد من الوقوف طويلاً أمام ظاهرة إلزامية إنشاء مواقع على الإنترنت لكل القنوات التلفزيونية والأستوديوهات السينمائية وشركات التصوير والألعاب المصورة... وما ذلك غير دليل يومي وملحوس على أن الصورة ليست منافساً للقراءة ولم تكن في يوم من الأيام كذلك. بل الصورة شريك للقراءة: شريك لا ينبغي إقصاؤه أو الخوف منه. وما التطور الجديد الناتج عن الثورة الرقمية التي يعرفها العالم المعاصر إلا دليلاً على مدى قدرة القراءة على تجديد نفسها للتكيف مع المتغيرات. ولعل القراءة الإلكترونية إضافة جديدة إلى طاقة القراءة المتجددة على الدوام لأنها تجعل القارئ دائماً إلى جانب آخر الإصدارات في وقتها وآخر الأخبار في حينها. فما القراءة على الشاشة، أو القراءة الإلكترونية، سوى واجهة من واجهات القراءة في زمن السرعة، ولكنها في نهاية المطاف تبقى "قراءة" أولاً وأخيراً.

هذا على المستوى الإنساني العام في زمن القرية الكوكبية. أما على الصعيد العربي عموماً والمغربي خصوصاً، فالامر يحتاج إلى تغيير في المنظار وتغيير في علبة تبديل السرعات والعودة إلى معيار "الخصوصية" والنش في آليات اشتغالها وطبيعتها أعطابها.  
فما هي الأمية؟ ومن هو الأمي؟

التفسير التجزيئي للأمية يحيلها إلى عدم القدرة على تهجئة الحروف وكتابتها. والمقابل اللاتيني للكلمة يفيد نفس المعنى: *Illettré/Analphabetè, Illettrisme/Analphabetisme*. أما المنظور الشمولي لظاهرة الأمية فيرجعها إلى عدم القدرة على الاستمتاع أو الاستفادة من خدمة هي في المتناول تضيع هي ومعها المصالح المادية والمعنوية...  
وبهذا قد يكون الأوروبي الذي يتكلم سبع لغات أوروبية مجرد "أمي" في اليابان لأنه بجهله اللغة اليابانية لن يعرف حتى المطعم الذي يمكنه فيه تناول وجبة غذاء تقيه هجوم الجوع على معدته، والخبير المحنك في العلاقات الدولية والقوانين الدستورية سيجد نفسه "أمياً" في التعامل مع ساعة يده حين تتعطل وتعرقل مواعيد ومصلحه...

## الأمية "أميات" بصيغة الجمع:

من باب التبسيط، يتم اللجوء دائماً إلى اختزال الأمية في عدم التوفر على كفايات في القراءة الأبجدية. بينما الأمية "أميات" بصيغة الجمع. فهناك:

- الأمية الأبجدية في أحط درجاتها والمعروفة بعجز المصاب بها عن تمييز الحروف الأبجدية وتَهَجُّها.  
- الأمية الفكرية والثقافية وأهم أعراضها عدم القدرة على التمييز بين الأنساق الدلالية، بين المناهج، بين المدارس والحركات الفكرية...

- الأمية السياسية وأهم تجلياتها عدم فهم مجريات الأمور على المستويات المحلية والإقليمية والجهوية والسياسية...  
- الأمية المعلوماتية وأهم مظاهرها العجز عن استخدام الهاتف النقال وتشغيل بطائق السحب الإلكترونية البنكية والتعامل مع الحاسوب...

- الأمية السمعية وتخص فاقد حاسة الاستمتاع بالموسيقى والعاجزين حتى عن المصاحبة الموسيقية بالتصفيق...  
- الأمية البصرية وتحول دون فهم العمل السينمائي أو الاستمتاع باللوحة تشكيلية.  
- الأمية العلائقية وأهم مظاهرها عدم القدرة على قراءة لغة جسد من حوالياه في كل مناح الحياة وما يتيح من فرص الفيدباك وتقويم الاتصال والتواصل عند الاحتكاك أو سوء الفهم...

- الأمية الصحية وأهم مظاهرها عدم معرفة الفاحامل ما يضرها مما يصلح لها، والرياضي يقتات على ما وجده في المطبخ والمريض يستخف بالأطعمة الممنوعة عليه طبيًا...

- الأمية الطرقية وأهم مظاهرها العجز عن قراءة العلامات الطرقية الأفقية والعمودية للحفاظ على سلامة الذات وحياة الآخرين.... وبناء على ذلك، فالأمية لا يمكن محاربتها والقضاء عليها نهائيا، لأن كل واحد من محاربي الأمية يحمل داخله أميات أخرى عليه محاربتها. كما لا يمكن بأي حال من الأحوال اختزال محو الأمية في محاربة الأمية الأبجدية. إن محو الأمية الحقيقي هو محو مستمر لأمية متعددة الأوجه لكن هذا لا يتم إلا بتعميم القراءة على الواجهة الرسمية وبالاستئناس بالقراءة من جانب الفرد. كما أن خضوع حملات محو الأمية للظرفيات المتغيرة لا يمكنه سوى تأجيل عودة الأمية التي لا تقف في وجهها لا الشواهد ولا الوظائف من الجيل الجديد من الأميين الذين يصطلح عليهم "القراء الصديين" ما لم تليها مرحلة دائمة من القراءة النشيطة.

## عن "محو الأمية" و"تشجيع القراءة":

هذا من الناحية النظرية، أما على الأرض، فبينما تصرف الميزانيات على محو الأمية، تكاد العين لا ترى ميزانيات مماثلة لتشجيع القراءة أو لتعميمها لا على المستوى الثقافي الرسمي ولا على المستوى التعليمي..

فعلى مستوى "تشجيع الكتاب" من خلال مبادرة دعم وزارة الثقافة للكتاب الأول للشعراء والكتاب الشباب، لا يعدو الأمر في نهاية المطاف عن كونه أكثر من مجرد دعم مالي وتجاري لدور النشر الوطنية. ذلك ان الكتاب المدعوم لا يصل لا إلى مكتبات المدارس ولا إلى الثانويات ولا إلى الجامعات وحتى إلى القراء: فقد بيع من بعض كتب سلسلة "الكتاب الأول" تسعة وثمانين نسخة فقط من أصل ألف نسخة مطبوعة كما صرح بذلك قبل سنوات قليلة أحد الشعراء المعنيين بأمر نشر كتابهم الأول أو "ديوانهم الأول"...

أما على المستوى التعليمي، فتبقى القراءة غائبة تستبدل فيها القراءة الحرة بالقراءة الموجهة أو القراءة التي تُثلا على مسامع المدرس والتي تتحول من القراءة للذات إلى القراءة للآخر. بعبارة أخرى، تتحول القراءة، على المستوى التعليمي، إن عن وعي أو بدونه، من قراءة للذات إلى مجرد إلقاء أدبي على مسامع الآخر.

فما بين تعميم القراءة و محو الأمية فارق هائل من الشروط الاجتماعية والثقافية والسياسية. فبينما يسعى تعميم القراءة إلى وضع حجر الأساس لمجتمع قارئ حر منتج قادر على تنمية شخصيته ووطنه، يسعى محو الأمية لا لتحرير الإنسان فذلك ابعده من طاقته بل يسعى فقط إلى جعل المواطن أقل ضحية مما كانه. والإثنان، تعميم القراءة و محو الأمية، لا يلتقيان إلا إذا دخلت على الخط إرادة حقيقية تربط طرفي السلسلة بعضها ببعض للمضي إلى الأمام. آنذاك، يمكننا الحديث عن التكامل بين تعميم القراءة و محو الأمية ما دام محو الأمية يهدف أساسا إلى تعميم القراءة لأنه أولي ولأن تعميم القراءة يتضمن مبدئيا محو الأمية.

هكذا، يمكن تعريف حملات محو الأمية بأنها حملات لاستدراج المواطنين إلى "عالم الحرف" المكتوب كما يمكن تعريف تعميم القراءة بكونها شكل من أشكال استدراج المواطنين إلى "عالم القراءة" الرحب الفسيح. وبذلك، فحملات محو الأمية ليست أكثر من تمارين على التعرف على الحروف والاستئناس بها والتدريب على رسمها في كلمات وجمل ونصوص. أما تعميم القراءة فيبقى شكلا لاحقا على مرحلة محو الأمية ومرحلة أرقى من مراحل التطور الحضاري لشعب من الشعوب تليها مرحلة الإبداع بكافة أشكاله: الإبداع العلمي والتقني والمعماري والفني والأدبي...

على هذا الأساس، يصبح محو الأمية وتعظيم القراءة وجهان لعملة واحدة لا تقبل التجزيء. فالقراءة ليست مرحلة لاحقة على الأمية، بل هي نشاط ملازم لها، لمحو الأمية. إن فصل محو الأمية عن تعويد المواطنين القراءة هو خلل يصبح مضاعفا عند الوقوف على حرمان أعلام الفكر والثقافة والمعرفة والعلوم المحليين من الخطوة بتخليد أسمائهم على الشوارع والأحياء والمدارس والثانويات والجامعات والسدود والمدن في مقابل هيمنة رجالات السياسة والتسيير.

فلا أحياء جميلة تحمل أسماء الكتب الجميلة: حيّ ألف ليلة وليلة، مثلا...

ولا أسماء مقام متميزة تحمل أسماء التجمعات العربية النبيلة: مقهى عكاظ، أو مقهى الكتبيين مثلا...

ولا أسماء المدارس تحمل أسماء المتقنين والمفكرين والادباء والفنانين المحليين "الأحياء"...

ولا مكتبات متخصصة تحمل اسم رائد محلي حسب الاختصاص: مكتبة عابد الجابري الخاصة بالكتب الفلسفية، أو مكتبة الخمار الكنوني الخاصة بالدواوين الشعرية، أو مكتبة أحمد بوزفور الخاصة بالقصة القصيرة، أو مكتبة المختار السوسي للكتب الدينية، أو مكتبة الخوارزمي للكتب العلمية أو مكتبة عبد الله العروي للكتب التاريخية...

## لمادا لا نقرأ؟

في العام 1982، نشر وزير الدفاع الإسرائيلي موشي دايان خطته كاملة لاجتياح لبنان على وسائل الإعلام الإسرائيلية "أياما" قبل بداية الغزو. وبعد انتهاء العملية بكل الوحشية والدموية التي خلدتها صبرا وشاتيلا وغيرها من القرى والمدن، وفي ندوة صحفية، سئل عن مغامرته بالكشف عن خطته العسكرية قبل الحرب فأجاب بأن "العرب قوم لا يقرؤون"!

فلمادا لا نقرأ؟

أصول عدم الإهتمام بالقراءة كثيرة لكن المهم فيها انها متجدرة في تاريخنا ولاوعينا ووجداننا العربي. ويمكن إجمالها في ثمانية...

## الأسباب السبعة لعدم إقبال العرب على القراءة:

## السبب الأول، مورثات تاريخية لا زالت متحكمة في الثقافة:

اعتمد قديما العرب اعتمادا يكاد يكون مطلقا على **الحفظ**: حفظ الأشعار، حفظ القرآن... ولقد كان النبي كان واع بخطورة الامر وكان يشترط على اسراه خلال الفتوحات قبل تحريرهم "تعليم عشرة مسلمين القراءة والكتابة"... أما في عهد الحروب بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية، فقد كان إطلاق سراح الاسرى من الجانب العربي مشروط بمبادلتهم ب"الكتب". ولكن مع عودة عصور الانحطاط، عادت الامور إلى نصابها: **الحفظ والسماع**...

## السبب الثاني، لأننا انتقلنا مباشرة من مرحلة السمع إلى مرحلة الصورة:

تشعب العرب لقرون بثقافة السمع والحفظ حتى لحظة تعرضهم ل"صدمة التحديث" مع دخول الاستعمار الاجنبي حيث دخلوا إما طوعا او كرها إلى "عصر الصورة". وبذلك، "قفزوا" على مرحلة هامة من مراحل تطور الوعي لدى باقي الامم المتحضرة: **مرحلة القراءة والكتابة**. وهو ما يتجلى في عدم ترسخ عادات القراءة في البيوت وعدم وجود مكتبات خاصة يتوارثها الابناء والأحفاد وعدم شيوع ثقافة القراءة في القطارات والطائرات لتهوين الانتظار وتنشيط الفكر... لقد انتقل العرب مباشرة من **ثقافة السماع إلى ثقافة الصورة**. ولذلك فازمة القراءة لدى العرب تبدو أعوص من باقي البلدان في باقي مناطق العالم.

## السبب الثالث، لأننا لا نكتب عن أنفسنا:

لمادا لا تقرأ شعوبنا العربية؟ لأن الكتاب لا يكتبون عن انفسهم. أما لمادا لا يكتب الكتاب عن انفسهم؟ فلأنهم، بكل بساطة، غير صادقين ويخشون بالتالي افتضاح امرهم... فتقافة "الخوف من القراءة" من ثقافة "الخوف من الكتابة". فإلى متى سيدوم تأجيل تأسيس تقليد تدوين المذكرات واليوميات والرسائل؟

إلى متى سنقبل بالحديث عن "الحداثة" في ظل خوف من "مبادئ" الحداثة: إضاعة كل العنمات؟ ففي ثقافتنا، الرئيس لا يجرؤ على كتابة مذكراته، والاقتصادي لا وقت له لذلك، والرياضي لا يخطر على باله ذلك، والمدرس آخر ما يخطر على باله هو تدوين مذكراته والكتابة عن مهنته ومتاعبها وأفاقها... بينما في ثقافات غيرنا، الرئيس يحرص على أن ينشر مذكراته فور خروجه من إدارة الحكم (بيل كلينتن، مثلا)، والرياضي يساهم في تدوير الرأي العام وتعزيز الذاكرة الرياضية بتدوين مذكراته (حارس مرمى المنتخب الالمانى في فترة الثمانينيات توني شوماخر، مثلا)، والموسم تنشر مذكراتها لأسباب أخرى (دولوريس فرانتيش مؤلفة كتاب "حياتي كموسم"، مثلا)...

## السبب الرابع، لأن الكذب يهين على المكتوب والمقروء:

إن خيرا كهذا "ثلاثة ارباع الشعب أمي" (تقرير اليونسكو الاخير) تصبح على وسائل الإعلام المكتوبة "ثلاثة ارباع الشعب متعلم"، والترتيب ضمن "دول ديل القائمة الدولية في مجال التنمية" يصبح موضوع انتقاد وتشكيك وتكذيب في المكتوب الإعلامي... عندما لا تكتب الحقائق، فما جدوى القراءة؟...

## السبب الخامس، لأنه لا وضع اعتباري لا للمثقف ولا للثقافة:

ينبغي في البداية التمييز بين ثلاث: السياسي والمثقف والموظف... فما يميز المثقف عن السياسي هو اهتمام المثقف بالمبادئ بينما يهتم السياسي بالتكتيكات أما ما يميز المثقف عن الفنان هو اهتمام المثقف ب"المضمون والفكر" بينما يهتم الفنان ب"الشكل والأسلوب والجماليات"... في حين ما يميز المثقف عن الموظف هو التزام المثقف بقضية يناضل عنها أحيانا بحياته بينما يلتزم بدوره ك"حارس" و"خديم" مقابل "راتب شهري". ف"الموظف" متعلم بالضرورة لكنه "بلا قضية يناضل من أجلها"، عكس المثقف.

ففي كل الثورات بكافة أشكالها (الثورات الاجتماعية والثقافية والسياسية)، الصدارة للمثقفين وبعد استتباب الامن تتضح معالم السياسيين واحدا واحدا وبعدها "حراس النظام القائم" كما يسمون في المعاجم الثورية، أي "الموظفين"... لكن في البلدان القابعة خارج التاريخ والتي تخلط بين "الثورة" و"الانقلاب"، بين "الرئيس" و"الزعيم"، بين الوراثة والتوريث في "الانظمة الجمهورية" وفي "الانظمة الملكية"، بين "المثقف" و"المتعلم"، بين "المثقف" و"الموظف"... في هذه المناطق من العالم المسماة من باب التجاوز "دولا" و"بلدانا"، يتصدر المسيرة "السياسي" الذي يؤله نفسه وينزهها عن الخطأ ويحيط نفسه ب"الموظفين" بأسمانهم المتعددة "التكنوقراط" و"ال... أما "المثقفون" ففي ديل القائمة إذا ما اتسعت لهم الحيز هناك في الدليل... وهذا "القلب" في "الحلقات الثلاث" هو الذي يفسر سير تدبير الامور في مجتمع من المجتمعات الإنسانية: إما "تدبير نهضة وإقلاع وانبعث" يقوده المثقف ويساعده السياسي وينفذه الموظف، أو "تدبير تهدئة لعب" يقوده السياسي ويساعده الموظف ويقصى منه المثقف...

فمند انقضاى السياسى على دفة الحكم وهو يغلب كفة "الموظف" على "المثقف" وقد ينصبه عليه رئيسا او مسؤولا كى يضعفه وبتقل إيقاعه فى الأنشطة الحرة التطوعية او فى العمل...  
فالمثقفون، حيثما كانوا، يتعرضون ل"إنزال" بأعداد من "الموظفين" بهدف "تقزيمهم عدديا" اولا وثانيا ل"لانقضاى على التسير قصد التحكم فى سير الامور وتحويل النشاط فى الاتجاه المراد السير فيه وتعظيم اسماء وتقزيم اخرى..."

### **السبب السادس، لأن مكانة المثقف تم تفويتها للموظف:**

ربما لا يعرف الكثيرون بأن اغلب الاولياء الصالحين فى المغرب عاشوا فى فترة الانحطاط المطلق للمغرب وهى فترة القرنين الخامس عشر والسادس عشر.  
وربما لا يعرف الكثيرون بأن اغلب هؤلاء الاولياء الصالحين كانوا "مثقفين تقليديين" يدرس أغلبهم فى جامع القرويين.  
وربما لا يعرف الكثيرون بأن اغلب هؤلاء الاولياء الصالحين كانت تحركهم "قضية واحدة" هى "مال المسلمين" سواء بعد انهيار الأندلس أو بعد بداية الهجوم الأوروبى الموسع على البلاد...  
وربما لا يعرف الكثيرون بأن اغلب هؤلاء الاولياء الصالحين قدسهم المغاربة لهذا السبب. لأن لهم "قضية" ولهم "غيرة على الامة"... وهذه هى الصفات التى تميز حاليا "المثقف" عن "الموظف".  
كان هذا واقع جامعتنا "القرويين" وكانت هذه شخصية "مثقفيه" و"أساتذته" فى آن أيام الانحطاط فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر. أما اليوم، بعد خمسمائة سنة، فالأمر لا يبعث على التفاؤل. فحسب تقرير اليونسكو، خمسون فى المائة من الأساتذة الجامعيين المغاربة، ما عدا البحوث التى تقدموا بها لنيل الشهادات الاكاديمية ودخول عالم الشغل، لم يكتبوا ولو مقالة واحدة وحيدة على مدى كل فترات حياتهم...

### **السبب السابع، الاختيارات السياسية الواعية:**

عند "تعاضم" شوكة المعارضة الاجتماعية، يلجأ النظام السياسى إلى الابتدال وإضعاف الثقافة والاخلاق وتعكير الجو والتفرقة لإبعاد الهجوم الاجتماعى عليه. وعليه، فإن أزمة القراءة هى أيضا اختيارات سياسية الهدف منها خفض إيقاع سير الامور بشكل يتمشى مع نمط تفكير الطبقة الحاكمة او العائلة الحاكمة وأسلوب تدبيرها لمجريات الامور و"مصالحها"...

### **عن "المهرجان الوطنى للقراءة" بالرباط:**

فى هذا السياق العام، جاءت فكرة إقامة "المهرجان الوطنى للقراءة" بالرباط أيام 24 دجنبر إلى 31 منه. وهى تظاهرة، وإن تحركت على خلفية نهوض استعجالى ثان بعد صدور التقارير الدولية غير المشرفة بالبلاد على غرار "الخطة الاستعجالية للنهوض بالتعليم" التى جاءت هى الاخرى بعد صدور تقرير التنمية الدولية الذى رتب البلاد فى آخر السلم الدولي على المستوى التعليمى...  
ولعل "المهرجان الوطنى للقراءة" بالرباط لم ينقصه لا الدعم المالى ولا اللوجستى بقدر ما كان ينقصه التحلى عن "جوهر المشكل العويص المعرقل للقراءة والمعيق لها": تفويت دفة تسير المهرجان وجلساته ل"الموظفين" بدل "المثقفين". فباستثناء الجلسة العامة الاولى ليوم الجمعة 25 دجنبر، طغت على كل الجلسات روح "الوظيفة". فعند تقديم القاص المغربى الكبير أحمد بوزفور فى اليوم الثانى من المهرجان، لم يتم تقديمه ك"هرم القصة القصيرة فى العالم العربى" وإنما ك"موظف فى جامعة الدار البيضاء"...

أما فى المائدة الاولى يوم السبت 26 دجنبر 2009 والخاصة بمحور "القراءة والتنمية"، فقد رتبت أسماء المتدخلين "حسب الوظيفة" فى المنظمات الدولية ثم فى الجامعات ثم فى الثانويات... وعندما قدمت نفسى ك"كاتب" وليس ك"أستاذ"، توتر "فخامة السيد رئيس الجلسة" وبدأ كل مرة فى تنبيهى بالاختصار رغم أن الحصة الزمنية التى أعطيت لى كانت أقل بثلاث مرات من باقى المتدخلين. وما أن وصلت إلى التوكيد على الاختيارات السياسية التى جعلت حال القراءة فى البلاد على ما هو عليه حتى أوقفنى نهائيا تحت مبرر أن "العرض قيم وسيتم استلامه منى وطبعه ونشره" ضمن مواد الكتاب الذى سيصدر عن السلسلة الشهرية المنظمة للمهرجان ولكن... "الوقت لا يرحم ولا يسمح بإكمال المداخلة!"

# القراءة كرافعة للتنمية المستدامة

مداخلة في المائدة الأولى على هامش أشغال "المهرجان الوطني للقراءة" الذي نظمته بالعاصمة المغربية الرباط سلسلة "المعرفة للجميع" الشهرية بتعاون مع اليونسكو والإيسسكو ووزارة الثقافة يوم السبت 26 دجنبر 2009

## مقدمة: عن ضرورة البحث في القراءة:

أهمية البحث في جدوى القراءة تكمن في عدة أسباب يمكن إيجازها في خمسة: أولاً، مسعى الانتقال من مجتمع شفهي إلى مجتمع قارئ. فالمجتمع العربي لا زال مجتمعاً شفهيًا غير قارئ ونسبة الأمية المرتفعة 67% دليل صارخ على ذلك. ثانياً، تعزيز مطلب الحق في المعلومة والمعرفة من خلال مساعدة الجماهير على ولوج مصادر المعرفة دون وساطة من الوساطات ودون رهبانية معرفية. ثالثاً، إعادة التقارب بين الجماهير والمعرفة والثقافة، بعد حرمان دام قروناً من الزمن طغت عليه ظروف سياسية متباينة وحسابات سياسية متضاربة واختيارات سياسية متناقضة. ورابعاً، إرادة تنمية المعارف وتطوير القدرة على التصحيح الذاتي لطرق التفكير والتعبير والتصرف بعيداً عن كل أشكال العنف العلائقي السائدة مادامت القراءة شكلاً من أشكال الأنشطة الذاتية الهادفة إلى تكامل الشخصية وتهذيب النفس في أفق الانشغال بأنشطة سليمة. وخامساً، مطلب الإسهام في قيم مواطنة جديدة قوامها: الكرامة والحرية والعقلانية والتحليل والنقد من خلال مساعدة الإنسان على الاستقلالية والتخلص من التبعية والقطعية. فحرية الفكر من القدرة على التحليل، والقدرة على التحليل من عادة القراءة. فالحرية، حجر الزاوية في مجهودات البحث في القراءة، تبقى هي القدرة على الإسهام في موضوعات مطروحة إما بالتعديل أو بالإضافة أو بالنقض. وهذا يقتضي معرفة كاملة بالموضوعات أي تحليلاً مستفيضاً لها. وإذا كانت الحرية هدفاً من أهداف القراءة، فإن أول مراحلها يبقى "التحرير": تحرير الإنسان من محدودية الفكر وضيق الأفق وضعف الخيال. فما دام الفرد هو نواة المجتمع، فإن بناء شخصيته هو في الآن ذاته بناء للمجتمع ولحضارة هذا المجتمع كما أن الاستثمار في هذا الفرد هو في الآن ذاته استثمار في المجتمع وفي حضارة هذا المجتمع

## آفاق النهوض بالقراءة مغربياً على خطى النهضة الأوروبية:

إن كل مشروع نهضوي يتضمن بالضرورة تصوراً معيناً لما ينبغي النهوض به قبل أي محاولة إقلاع تحمل صفة "نهضوية". ف"التصور" هو ما يضمن الوعي لكل مسيرة نهضوية ويؤمن الالتزام بكافة مراحلها ويرسم الإطار والأدوات والأهداف والشركاء والحدود والآفاق...

ولأن القراءة هي أهم ركائز كل نهوض حضاري محتمل إذ بواسطتها تستشرف الآفاق وتتحقق المشاريع وتصل إلى مخاطبيها، وبدونها ينشط الوسطاء والمفسرون والمُبرِّرون والشرّاح وأغنياء الأمية، فقد قام المغرب واليابان معاً، عند نهاية القرن التاسع عشر، بإرسال أول بعثة طلابية إلى أوروبا للاستفادة من التقدم العلمي عبر المرور من مؤسساته الأكاديمية. وبينما تأير اليابانيون وواصلوا سنوياً إرسال البعثة تلو البعثة إلى أوروبا، حدث انقلاب في القرار المغربي اتجاه المضي قدماً في المشروع. فكانت النتيجة "يابان عصرية حديثة جديدة" مقابل "مغرب يبحث بعد قرن من فوات الفرصة سبب إعادة تجربتها".

فإذا كان الحضارات في تداولها عبر التاريخ تخضع لمنطق الدورة المتنقلة من شرق الكوكب الأضي إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، فإنها تخضع أيضاً لمنطق ثان مواز هو منطق نقطة الارتكاز الحضارية. فالحضارة الفينيقية قامت على أساس نقطة ارتكاز معروفة تاريخياً وهي التجارة والتبادل التجاري، والحضارة العربية-الإسلامية قامت على أساس الدين ونشر الرسالة المحمدية، والحضارة الأوروبية قامت على أساس الكتب بصيغة المتعدد، والحضارة الأمريكية قامت على أساس التقنية...

وإذا كان ثمة إغراء جذب مغرب القرن التاسع إلى أوروبا فلأجل ذات الإغراء قائماً إلى اليوم: إغراء سلوك طريق الحضارة الناهضة على أساس الكتب بصيغة المتعدد. فقد مرت أوروبا خلال الخمسمائة سنة الماضية بست مراحل أساسية شكلت العمود الفقري لقوتها وعظمتها

كما شكلته لليابان التي قررت المضي في نفس الطريق الذي تخلف عنه المغرب مبكراً. وهذه المراحل الست هي: مرحلة الإحياء *Revivalism* التي اهتمت بجمع نفائس الكتب المتدفقة من بيزنطة، عاصمة الكتب في القرون الوسطى، ومن الأندلس المنهارة وعملت على تحقيقها وترجمتها، ومرحلة اختراع الطباعة وإخراج نفائس الكتب إلى جمهور القراء بأثمان رخيصة وبلغات شعبية، ثم مرحلة الإصلاح *Restoration* التي عرفت أكبر عملية إصلاح لغوي وفكري وديني في تاريخ أوروبا، ثم كانت مرحلة التنوير *Enlightenment* التي سميت مع عصرها بعصر الأنوار وقد اختلفت بتطوير الفكر وتجديده، وبعدها كانت مرحلة التصنيع *Industrialism* مرحلة صياغة دساتير الحكم والبرامج السياسية والخطط الاقتصادية مع الثورة الصناعية في منتصف القرن التاسع عشر، والآن مرحلة التقنية والرقمية وهو المفهوم الفكري الذي صادف صعود فلسفة "ما بعد الحداثة" *Postmodernism* أو "سلطة المؤسسة" في مقابل فلسفات "الحداثة" *Modernism* أو "سلطة العقل" التي وسمت القرون الخمسة الماضية الممتدة من فترة "الإحياء" الأوروبي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ميلاديين إلى العشرية الثانية من القرن العشرين.

وإذا كانت اليابان، قبل مائة سنة، قد اختلفت لنفسها نفس الطريق عبر سلوك نفس المحطات الست من باب اختصار التاريخ وسلوك الطريق الأكثر أماناً والأكثر مردودية، فليس هو حظ عرب اليوم ومغرب الساعة أن يجدوا أنفسهم، بعد مرور عقود من الزمن، في وضعية صعبة تتطلب منهم شجاعتين: أولاً شجاعة التصريح بقرار الإقلاع وثانياً شجاعة عدم الرجوع في قرار دخول التاريخ مهما كلف الأمر. إنه لمن باب احترام السابقين في التقدم والازدهار والنمو، وجوب الإصغاء لتجربتهم والاستفادة من أخطائهم واختصار الطريق للحاق بهم. فمن لا يستلهم التاريخ محكوم عليه بتكراره. ولذلك، نقترح الوقوف المحطات الكبرى التي ساعدت الغرب على النمو والرفق وعلو الشأن.

## المراحل الست لانطلاق النهضة المغربية:

ما بين خيار "اختصار التاريخ" وخيار "حرق المراحل"، يبدو أن العرب عموماً والمغاربة خصوصاً انتصروا للخيار الثاني، خيار "حرق المراحل". ولذلك، بشكل عجيب، ابتدؤوا من مؤخرة المسار النهضوي الذي سلكه جيرانهم الأوروبيين. فقد بدؤوا من المراحل الثلاث الأواخر وأجلوا العمل بالمراحل الثلاثة الأوائل. فقد بدؤوا بمرحلة التنوير ومرحلة البرامج والمخططات ومرحلة المؤسسة والمؤسسات لكن العمل في هذه المراحل المتقدمة لم يكتب له الوصول إلى الجماهير وعامة الشعب وظل محصوراً بين الأوساط المثقفة. وهذا ما يتجلى في بقاء المبادرات الإحيائية من ترجمات وتحقيق وتوثيق وبيبلوغرافيا والنفس الطباعي من طبع ونشر وتوزيع والجرأة على فتح ملف الإصلاح الشامل دائماً في عداد ما دون عتبة الخروج إلى عالم الفعل والتفعيل. لذلك، فالتفكير في تنمية حقيقية على أسس صلبة يقتضي إعادة القطر المغربي إلى سكتة الأصلية، سكة التنمية التي سلكتها أوروبا، سكة التنمية عبر الكتاب والقراءة وسكة التاريخ لأوروبا وعبرها للعالم من خلال التاريخ لمراحل تطور القراءة والكتاب (عصر الإحياء، عصر الطباعة، عصر الإصلاح، عصر التنوير، عصر البرامج...)

### 1/- مرحلة الإحياء:

الحضارة الغربية المعاصرة حضارة انبنت على القراءة وعلى الكتب بصيغة الجمع وليس على كتاب واحد أو إيديولوجيا واحدة. كما أن تطور تاريخ هذه الحضارة رافقه على الدوام تطور الكتاب سالماً طريقاً يمتد من الإحياء إلى الطباعة إلى الإصلاح إلى التنوير إلى البرامج...

ولعل أهم قيم الإحياء هي تشجيع القراءة وتعظيم قيمة الكتاب وإرساء دعائم المصالحة مع الذات والانفتاح على ماضيها المشرق واستشراف مستقبلها. وقد انشغل الإحياء بتحقيق الكتب وترجمتها وأرشفتها وإنشاء المكتبات العامة وفتح المكتبات الخاصة في وجه العموم...

كان هذا هو جوهر فلسفة الإحياء الأوروبية، أولى الحلقات الست، وقد ركز بشكل خاص على الجانب العقلي والفكري من الثقافة الغربية خاصة الفلسفة والنقد الأدبي والفني. بينما جوهر المحاولات الخجولة لنواة فلسفة الإحياء العربية الأولى كان في الحقيقة جوهرين يتجاذبهما تياران فكريان: تيار ديني يتقصد تشكيل مسار إسلامي خالص هو "العودة إلى السلف الصالح" الذي يجعل من فلسفة الإحياء فلسفة دينية بامتياز، وتيار ثان قومي يتقصد تشكيل مسار عربي عقلائي. ومع دخول هذين التيارين حلبة السياسة ضاع "الإحياء" في نسخته العربية ودخلت حسابات أخرى ساهمت من بعيد أو قريب في "قتل" الإحياء العربي في مرحلته الجينية.

وإذا كان لا بد لأي إقلاع حضاري أن "يشرك الجماهير" في نهوضه الحضاري فإن حلقة "الإحياء" تبقى بوابة رئيسية لا يمكن القفز عنها للمرور نحو الحلقات الخمس الأخرى تحت أي مسمى. وإذا كان الغرب قد مر من فترة الإحياء في نسختها "الورقية" التقليدية قبل خمسمائة سنة مضت، فإن العرب اليوم يجدون أنفسهم ملزمين بالمرور عبر نسختين من الإحياء: الإحياء الورقي والإحياء الإلكتروني معاً وفي آن واحد.

فعلى الواجهة الورقية، نقترح إدخال المكتبة إلى كل المرافق العمومية من مستشفيات وسجون ومدارس ومساجد وفنادق وغيرها، تخفيض سعر الكتاب عبر إصدار نسخ رخيصة للعموم ونسخ راقية للباقيين، تشجيع ثقافة الجوائز في المسابقات المدرسية وحفلات توزيع النتائج في المؤسسات التعليمية، إقامة معارض الكتب في المؤسسات التعليمية ودور الشباب، دعم تجربة أسواق الكتاب المستعمل، دعم تجربة تبادل الكتب وكراء الكتب والمقايضة بالكتب، ترجمة الروايات الناجحة سينمائياً، طبع البحوث

الجامعية المتميزة ونشرها بأسعار مدعومة، إنشاء دور نشر خاصة بتتبع جودة البحوث الجامعية لإخراجها للعموم، دعم تحويل الروايات المكتوبة إلى أفلام سينمائية وتحويل الدواوين الشعرية إلى أغان، دعم ثقافة تقديم الإصدارات الجديدة على شاشات التلفزة، قناة خاصة بالإلقاء الشعري والرواية الشفهية والنقاش الثقافي والاحتفال بالإصدارات ومتابعتها إعلامياً ونقدياً... وعلى الواجهة الإلكترونية، نقتراح إقامة مكتبة وطنية رقمية على غرار مكتبة الإسكندرية توفر كل المخطوطات والكتب التي ألفها مغاربة بكل اللغات في صيغتها الرقمية بحيث تكون في متناول في كل القراء والباحثين، وفرض إنشاء موقع على الإنترنت لكل مؤسسة تعليمية بحيث يكون الجانب الخاص بالمكتبة الافتراضية مفتوحاً في وجه كل من توفر لديه كتاب إلكتروني وأحب إيداعه على رفوفه الإلكترونية حتى يتسنى لعموم المبحرين من الطلبة وغيرهم التحميل المجاني للقراءة والاستفادة، دعم تجربة بيع الكتاب الإلكتروني بأسعار مقبولة كحل أمام صعوبة الحصول على كتب ورقية من أقطار أخرى ...

## 2/- مرحلة الطباعة:

كان اختراع غوتنبرغ لآلة الطباعة الحديثة محطة بارزة في سياق تطور التاريخ برتمته. فقد سرعت آلة الطباعة حركة النسخ وأصبحت تسابير الطلب المتزايد على الكتاب. لكن حسن استثمار دور الطباعة كان له كبير الأثر على الوصول إلى أكبر عدد من القراء وإيصال الرسالة المراد تثبيتها وأفضل من جسد هذا الدور هو مارتن لوثر كينغ الذي كان يملك ما يقارب العشرين مطبعة موزعة على أوروبا بأكملها وهذا ما يفسر فعالية ثورته وانتشار رسالته بسرعة كبيرة. حسن استثمار المطابع هذا بدأ قبل خمسمئة سنة أما اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية فثمة تجربة مثيرة للاهتمام. فالكتاب أو الناشر عند إقدامه على تسويق منتج في أرجاء القارة الأمريكية الشمالية، يكفيه التعامل مع وكيل يتكفل بإداعة خبر صدور العمل كل نصف ساعة وعلى مدار اليوم على أزيد من مائة محطة إداعية. وبهذه الطريقة يصل الخبر للأطفال والمسنين ولربات البيوت والبحارة في أعالي المحيطات في كل اوقات اليوم ولمدة يتم الاتفاق عليها بين الناشر ووكيل التسويق... إزاء التجربتين السابقتين، يمكن اقتراح تجربة صالحة للتربة العربية في مرحلتها الثانية، مرحلة طباعة الكتب ونشرها. ففي الوقت الذي تحتكر فيه دور النشر حقوق الطبع والنشر داخل الوطن ولا تطبع غير ألف نسخة ولا تبيع أكثر من نصفها على مدى سنوات، يمكن اقتراح باب ثان أكثر رحابة وفعالية ومقروئية: **باب التبادل مع دور النشر العربية الأخرى.** فبدل طباعة ألف نسخة لقراء من بلد واحد، يمكن الانتقال إلى طبع اثنين وعشرين ألف نسخة لتبادلها مع اثنين وعشرين دار نشر من اثنين وعشرين دولة عربية. وبهذه الطريقة تربح دار النشر اثنين وعشرين مرة أكثر وتساهم في خروج الكتاب الوطني إلى الأسواق العربية كما تساهم في تحريك رواج المنتج الثقافي على مدى واسع من الخريطة العربية... كما يمكن لدور النشر الورقية دخول تجربة الانفتاح على القراء الآخرين. فالكتاب ليس بالضرورة كتاباً ورقياً والقارئ ليس بالضرورة قارئاً تقليدياً. فثمة مساحات أخرى للقراءة لازالت عذراء بفعل إجماع الناشرين عن اقتحامها. ومن هذه المساحات: **"الكتاب المسموع"** الذي يسميه الفرنسيون ب**"القراءة في الظلام"** وهو عبارة عن قرص سمعي يصدر بموازاة مع الكتاب الورقي ويتضمن تسجيلات صوتية وإلقاءات شعرية وقصص وروايات مسموعة وهي موجهة للاميين ولربات البيوت. أما النوع الثالث من الكتب فهو **"الكتاب الملموس"** الخاص بالمكفوفين. وأما النوع الرابع والأخير من الكتب فيبقى **"الكتاب الإلكتروني"**. فبالتحام الناشرين لهذه المجالات العذراء، يساهمون في **"تنمية"** مفهوم القراءة ذاته وفي **"تنمية"** الرأسمال القرآني...

## 3/- مرحلة الإصلاح:

بعد مرحلة الطباعة أواخر القرن الخامس عشر، كان موعد أوروبا الكبير مع الإصلاح بكافة أنواعه: **الإصلاح الديني** الذي زرع هيبة المؤسسة الكاثوليكية وهيمنتها ثم **الإصلاح اللغوي** والذي انبثقت عنه لغات شعبية جديدة كالإسبانية والفرنسية والبرتغالية وغيرها التي لم يكن مسموحاً لها بالحضور في المناسبات الراقية والتعبدية التي ظلت حكراً على اللغة اللاتينية القديمة وبالخصوص الإصلاح الفكري الذي جعل القراءة حجر الأساس في العبادة وفي الحياة.

وعليه، نجد على الواجهة العربية عموماً نداءات تتصاعد من هنا وهناك بالتعجيل ب**"الإصلاح الديني قبل الإصلاح السياسي"** كنداءات محمد شحرور الذي يصرح بأننا **"لسنا بحاجة إلى إصلاح سياسي، ولا إلى مؤسسات مجتمع مدني، فمجالس الشعب ودور الإفتاء والنقابات والاتحادات والمنديات والصحف موجودة. نحن بحاجة، أولاً، إلى إصلاح فكري وديني وثقافي، وإلى خلق الإبداع الفقهي المتجدد، لتفعيل ما عندنا من مؤسسات موجودة"**.

فبعد مراحل جمع الكتب وتحقيقها وطبعها ونشرها، المرحلة الثالثة على درب الإقلاع الحضاري تبقى هي مرحلة **"الإصلاح الديني"** من أجل تحديد المصير الحقيقي. **فالإصلاح الديني ضروري قبل كل إصلاح سياسي.** ومن هنا أهمية تجديد الخطاب العام وملاءمته مع ثقافة العصر: ثقافة العدل والمساواة والتنمية والحرية والديموقراطية واحترام الآخر... إن معيار نهضتنا المقبلة يجب أن يكون مبنياً على **"حاجتنا للتطور ومقاومة الجمود"** وهو نفس معيار فلاسفة الإحياء الأوروبيين قبل خمسمائة سنة خلت: تجديد الفكر، تجديد اللغة، تجديد المجتمع والرقمي به لقيم عليا جديدة وبعد هذه المراحل الثلاث المحروقة، يمكن الانتقال إلى المراحل الثلاث المتبقية: مراحل التنوير والبرامج والمأسسة...

## 4/- مرحلة التنوير:

مرحلة التنوير في الثقافة العربية الحديثة لم تنقطع منذ القرن التاسع عشر ولكن مشكلتها تكمن في كونها ظلت حبيسة النخبة ومجالس النخبة ومنتديات النخبة ولا تربطها خيوط الجماهير لأنها لم تبين في يوم من الأيام علاقة بهذه الجماهير التي لا زالت ترى في القراءة نوعا من "المطالعة" ولا زالت ترى في الكتاب شكلا من "أشكال الترف" ... إن القفز على المراحل الثلاثة لبناء الثقة والتواصل مع الجماهير (مرحلة الإحياء والطباعة والإصلاح) هدم كل المشاريع التنويرية التي ظلت حبيسة منتديات النخب ولم تصل إلى قلوب الجماهير ولا حتى إلى أذانهم.

## 5- مرحلة البرامج والمخططات:

بعد حلقة الإحياء الذي يتفرغ لأمر تشجيع القراءة، وبعد حلقة الطباعة التي تتكفل بتوفير المادة القرائية على الورق، وبعد حلقة الإصلاح الذي يتكفل بتكثيف الدهنيات مع متطلبات العصر، وبعد حلقة التنوير التي تضع على عاتقها مهمة تنوير الفكر... تأتي مرحلة التدبير العقلاني للرساميل المادية والرمزية: مرحلة البرامج والمخططات. ومن بين المخططات الممكن اقتراحها سعيا للنهوض بالقراءة وإشراكها في العملية التنموية الشاملة، يمكن تسطير بعض المقترحات: أولا، التفكير في اقتصاد ثقافي، اقتصاد قائم على حركة الكتاب وعلى إنتاج الكلمة وعلى رواج المنتج الثقافي وعلى القراءة كفعل محرك للاقتصاد الثقافي برتمته. وهذا يتطلب العمل على رفع عدد سحب الكتب في المطابع من خلال إشراك الوزارات الوصية والجمعيات والمنظمات المعنية بأمر القراءة والكتابة والجماعات المحلية في المساهمة في التمويل والترويج والتوزيع وتسهيل خيار تبادل الكتب بين دور النشر والتوزيع العربية... ثانيا، التفكير في الانتقال إلى طور السياحة الثقافية من خلال تقسيم الخريطة الجغرافية إلى مناطق ثقافية (منطقة البحث التاريخي، منطقة النقد الفني) وعواصم إبداعية (شفشاون عاصمة الشعر، الصويرة عاصمة المسرح، فاس عاصمة الرواية)... ثالثا، توأمة المهرجانات الثقافية مع المهرجانات الفنية الأخرى (الموسيقية منها والسينمائية والتشكيلية) لرفع العزلة عن المقروء الذي يبقى في المتمثل العامي رمزا نقيضا للفرح والمتعة... رابعا، إقامة مسابقات في القراءة السريعة، في القراءة والتدبير، في قراءة أكبر عدد ممكن من الكتب، في غرائب القراءات... خامسا، الحملات الثقافية الهادفة من جهة إلى التعريف بالذات من خلال ترجمة الأعمال المغربية إلى لغات أخرى ومن جهة أخرى تقديم الآخر للقراء من أبناء البلد من خلال ترجمة أعمال الأجانب إلى اللغة الأم. سادسا، الاهتمام بالدور الهام للإعلام الثقافي المرئي والمسموع والمكتوب الذي يمكنه ان يجعل من المادة الثقافية جزءاً من طعام الإفطار ووصلة من وصلات استقبال أو توديع للأحبة...

## 6- مرحلة المؤسسة:

وهي آخر المراحل وخاتمتها وتهدف إلى الدفاع عن مكسب القراءة وتنزيهه عن كل التقلبات المزاجية والشخصية بحيث يصبح هذا المكسب "مؤسسة" قائمة الذات ومعترفا بها لها حقوق وعليها واجبات.

## **خاتمة:**

إن الثورات الإنسانية الكبرى لم تقم في يوم من الأيام على الجوع فحسب بل قامت أيضا تحت تأثير القراءة التي أطرت الحركات الاحتجاجية وأمدت جحافل القراء بطاقة لا يمكن التكهن بمصدرها. وهذا ما حصل مع المسلمين الأوائل في ثورتهم الأولى على الظلم وعلى الوثنية، وهو أيضا ما حدث مع الثورة الفرنسية المشبع أهلها بأفكار فلاسفة التنوير وهو ذاته ما حدث مع الثورة البولشفية... إن القراءة تغييرية بالطبيعة: إما تغييرا تنمويا سلميا إذا انتفى الصراع الاجتماعي أو تغييرا ثوريا عنيفا إذا حضر الصراع والعنف الاجتماعيين. أما ألا تكون هناك قراءة أو أن يتدنى المستوى القرائي لشعب من الشعوب فالأمر، أنداك، لا يعدو كونه قرار تسلطي يخفي وراءه خوفا سياسيا دفيناً من مغبة خروج الأمور من اليد وانفلاتها انفلاتا لا ينفع معه لجام. فتدني نسبة القراءة لشعب بكامله وبشكل ثابت أو انحداري لا يدلّ على مستوى انحطاط ذلك المجتمع فحسب بل تشير أيضا وبالأصعب الطويل إلى خصوصية الأنظمة الاستبدادية في كل مكان من هذا العالم وفي أي زمان.

**مداخلة في المائدة الأولى على هامش أشغال "المهرجان الوطني للقراءة" الذي نظّمته بالعاصمة المغربية الرباط سلسلة "المعرفة للجميع" الشهرية بتعاون مع اليونسكو والإيسسكو ووزارة الثقافة يوم السبت 26 دجنبر 2009**

# ثنائيات القراءة والتلقي:

## فصل المقال في ما بين المثقف والموظف من اتصال

### أشكال القراءات:

**النوع الأول: القراءة للتسلية،** وهذا النوع من القراءات "أدواتي" في وسيلته وغايته ولذلك فهو متنوع غالبا إما بالسبات أو بالنسيان بعد الانتهاء من القراءة.

**النوع الثاني: "المطالعة"** أو القراءة لأداء الواجب. وهي مقترنة بالحفظ لأنها متنوعة بالاستظهار. وهذا النوع من القراءات هو الأكثر هيمنة على الوسط المتمدرس وكل الأوساط التي يغلب عليها "التطلع" كما في أوساط "المناضلين" النقابويين والسياسويين، أو "التلقي" في المباريات المهنية كما في أوساط الموظفين والعمال.

**النوع الثالث: القراءة لسد حاجة عاطفية أو عقلية أو مهارية.** وهذا النوع من القراءات هو صانع النمو بكل أشكاله، وباني نمو الشخصية بكل امتداداتها. وإذا كان لابد للقراءة أن تكون منتجة فربما كان هذا النوع هو الأنسب.

وبالتمييز بين هذه الأشكال الثلاث للقراءة يمكننا رفع اللبس عن العديد من المجالات الحيوية في حياتنا الثقافية حيث نعد على رسم التشويش لعدساتنا وتصميم الضبابية لعيوننا عن طريق الهروب من مفتاح المشكل الوجودي العربي: القراءة.

المطالعة	القراءة
متنوعة بالمساءلة والتفكير والنجاح والرسوب	متنوعة بالنمو والاكتشاف والمتعة
واجب	متعة
موجهة	حرة

### المثقف والمتمدرس:

إذا كان النوع الثاني من القراءة، القراءة لأداء الواجب، ينتج "المتمدرسين" وخريجي المدارس وحاملي الشهادات؛ فإن النوع الثالث من القراءة، القراءة لسد حاجة عاطفية أو عقلية أو مهارية، ينتج "المثقفين". لكن الفرق بين الفئتين لا زال موضوع تشويش كبير نظرا لإصرار بعض الدول على "مدرسة" الجميع وتغليب كفة "المتمدرس" على "المثقف" وترجيح كفة "الموظف" المأجور شهريا على "المثقف" الحر الطليق أبدا.

تحت المجهر، تتجلى خصوصيات ووظائف "المثقف" و"المتمدرس":

المثقف	المتمدرس
ضمير الأمة	طاعة أولياء الأمر
حس بالكرامة الجماعية	وعي بالمصلحة الفردية
الحرية والاجتهاد	الانضباط للمقرر الدراسي
الهدف هو التنوير والتحرير	الهدف هو النجاح في الامتحان
المناقشة	المراجعة

## المناقشة والمراجعة:

"المناقشة" و"المراجعة" هي السمة المميزة والحد الفاصل بين قارتي "القارئ" و"التلميذ"، "المثقف" و"الموظف"، "الفاعل" و"المأجور"، "الحر" و"المريد" ... في هذا الجدول، تشريح لهدين الصفتين المحوريين:

المناقشة	المراجعة
متحررة من كل الإكراهات	رهينة المقرر والخطاب المدرسي
الخوض في المختلف فيه	تذكر الدروس واستظهار القواعد
عميقة	سطحية
متفردة	اجترارية
المناقشة متنوعة بإذكاء روح حرية التعبير	المراجعة متنوعة بالدعم والامتحان والتنقيط

## العمل الثقافي والعمل المهني:

إذا كان ثمة فروقات بين "المثقف" و"الموظف" من حيث الماهية فهناك أيضا فروقات موازية على مستوى الاشتغال والإنجاز:

العمل الثقافي	العمل المهني
تطوعي	مأجور
حرية	رقابة
المرجع: ثقافات الشعوب	المرجع: المقرر الدراسي الرسمي
المتلقي مواطن حر كريم	المتلقي طالب متبوع بالامتحان
الغاية: تحرير الإنسان	الغاية: إعداد الموظف

## التاريخ والوظيفة:

التمايز القائم بين "المثقف" و"الموظف" على مستويات القراءة وأشكال العمل يتعزز أيضا على مستوى الغايات والإستراتيجيات. إنه تمايز ما بين دخول التاريخ وبين الوفاء للوظيفة والراتب الشهري والمكافآت:

دخول التاريخ	الوفاء للوظيفة
القياس بالعمر التاريخي	القياس بالعمر الفردي
الأسبقية للمثقف	الأسبقية للمتمدرس
القناعة بالفعل، الإيمان بالعمل	المصلحة، المأجورية
إثبات الفعل لدخول التاريخ	الإدلاء بالشهادات لولوج الوظيفة

## العمل الأدبي الناجح والعمل الأدبي الراجح:

يقرن البعض بين رواج الكتب في الأسواق وبين نجاحها أدبيا. كما يعتمد بعض الناشرين إلى تقديم الكتاب للقراء على خلفية نيله لجائزة ما بغية إنجاحه في الأسواق. لكن ينبغي الاعتراف بأن ثمة برزخ يفصل بين البحرين: فالعمل الراجح في الأسواق لا يحتاج إلى جوائز، وهو في الحقيقة لا ينالها، مادام جزاؤه المداخيل المالية كرواية "ذهب مع الريح" للروائية الأمريكية مارغريت ميتشلز ("Margaret Mitchell's "Gone With The Wind") وسلسلة "هاري بوتر" للروائية البريطانية ج.ك. رولينغ ("J.K Rowling's "Harry Potter") وغيرها. أما العمل الناجح أدبيا فجزاؤه

**دخول التاريخ** مهما صغرت دائرة قرائه كالرسالة- الشكوى التي أيقظها القاص المغربي محمد بوزفور والروائي المصري صنع الله إبراهيم عندما انتقضا في نفس الآن على واقع القراءة والكتابة في بلديهما ورفضاً جائزتي دولتيهما المخصصة لكبار الكتاب.

<b>العمل الأدبي الناجح</b>	<b>العمل الأدبي الراج</b>
تقديم إضافة جمالية أو معرفية	معرفة قبلية بمتطلبات سوق القراءة
الاستقلالية والابتكار	مسايرة المقرر الدراسي أو المهني
موجه لفئات محددة	موجه لفئات شعبية عريضة
وجهته دخول التاريخ	وجهته تنمية الرصيد البنكي

### **تركيب:**

من خلال رصد هذه الثنائيات الضاربة في بدايتها والموغلة في حركيتها ونشاطها، يمكن القول بأن سياسات الدول وأسواق القراءة يتحكم فيهما قرار الحسم في أسبقية أحد زوجي هذه الثنائيات على الآخر: خيار "الحرية" وخيار "الطاعة". إن أزمة القراءة في الوطن العربي لا تقتصر فقط بغلاء الكتاب أو نقشي الأمية أو نخبوية اهتمامات الكتاب... إن الأمر أعمق من ذلك بكثير. إن الأمر يتعلق بمواطني الغد الذين أنتجتهم وتنتجهم المدرسة العربية، الأمر يتعلق ب"المتدرسين" مدى الحياة الذين لا يقبلون على قراءة ما ليس في "المقرر" الوزاري فما بالك بالخوض في المختلف فيه ورفع هامش الحريات والتسامح مع الآراء المغايرة...

ولقد انتبه للأمر البعض ممن أتاحت لهم فرصة "تحمل المسؤولية" فعمدوا لإدراج أعمالهم أو أعمال معارفهم أو زبنائهم ضمن مواد المقررات الدراسية لتفرض على "المتدرسين" قراءة وفهما وتقبلاً إذا ما رغبوا في النجاة والنجاح! لكن، حتى لا تستشري هذه الآفات التي تتجه لتصبح تقاليد نامية في بعض بلداننا العربية، فقد أن الأوان لتغيير طريقة التفكير في الوطن: من وطن المريرين إلى وطن الأحرار. وحتى ذلك الحين، تبقى "القراءة" هي المحرار والحكم والسيف الفصل.

# دليل الكاتب الناشئ إلى عالم الكتابة والنشر والتوزيع في مجتمعات الامية وضعف القراءة

## مقدمة:

" أليس الأدب كفاحا، والكفاح أدبا؟" هذه الصيحة أطلقها الكاتب المسرحي والفيلسوف الايرلندي الكبير جورج برنارد شو. وهي تلقي الضوء على خاصية مهمة من خاصيات الأدب خصوصا والكتابة عموما وهي أنه لا يمكن تصور ثقافة مكتوبة إلا متخذة لموقف ما ومدافعة عنه حتى النهاية. بل إنها تلزم الكاتب ذاته بالدفاع عنها في كتاباته وتصريحاته اللاحقة. ومادام الأمر يتعلق بالكفاح عبر الكتابة، فالكتابة تبقى إما كتابة ملهمة أو كتابة تحت الطلب.

## ( I - الكتابة الملهمة والكتابة تحت الطلب:

الكتابة كشكل من أشكال الجهر بتصور عام للوجود ( إما تكريسا للواقع أو سعيا لتغييره ) هي ثمرة أفكار استثنائية في لحظات خلوة استثنائية نسميها " إلهاما " أو " وحيا " تتسلط على الكاتب وتكتب به ومن خلاله . الحقيقة أن " الإلهام " هو أهم ما في عملية الكتابة والتأليف عموما. بل هو ما يميز الكتابة الحقة عن الكتابة تحت الطلب. ولكن " الإلهام " ليس هبة خارجة عن ذات الكاتب. " الإلهام " طاقة داخلية تتفجر مع اكتمال النضج والتخزين . ولذلك أمكن للكاتب أن يختار " إلهامه " وتوقيت تفجره، إن هو أراد ذلك لأن الأمر يتعلق بإرادة وليس بصدفة : فالإلهام صناعة وليس هبة ممنوحة :

" اختر موضوعا واحدا، إشكالا واحدا .. ثم اقرأ له في كل الكتب والدوريات، وشاهده في كل الأفلام والعروض المسرحية، وانصت له في كل القصص والنوادر والأخبار والأغاني، وجربه لتختبر بنفسك ما في مخيلتك من معلومات مخزنة ... وحين ينضج الموضوع ويختمر، سينقلب عليك السحر وستصبح وسيلة لا كاتبا. وهذا ما نسميه عادة " الإلهام " أو " الوحي " أو " شيطان الكتابة " أو غير ذلك. ولكنه ليس شيئا آخر غير انفجار الخزان الذي جمعته من مشاهداتك وقراءاتك وتجاربك حول موضوع مركز بالغ التحديد، إنه انفجار نص يريد كتابة ذاته بذاته " .

## ( I - القارئ المفترض:

الحقيقة أن المعنى بالكتابة هو حلقات متشابكة تجمع القارئ بالناقد بالناشر بالموزع بالكتبي... فالناشر لا يقبل بما يخالف خطه الإيديولوجي لذلك فالتعامل معه أساسه إما القرابة الإيديولوجية أو الكتابة تحت الطلب ... أما الموزع فشرطه هو عدم إخلال الكتاب بالأمن العام . وهو الشرط الذي يضيف إليه الكتبي وشرط القابلية للبيع . أما الناقد فيشترط تواجد الكتاب في السوق مع حداثة الطبعة، فضلا عن بعض الإضاءات المنشورة على صفحات الجرائد: شهادات، مقالات صحفية مع الكاتب ...

أما القارئ الذي يبقى قبلة لكل المجهودات الثقافية، فلا يقبل بغير الكتاب القوي الذي يمنح أحلام القارئ في الحرية وأفكاره المتشظية فرصة للانفجار والتحقق والإفصاح عن ذاتها. إنه يتوقع كتابا يحترمه، لإيمانه بأن الكتابة أداة تواصل راقية تحرر المشاعر الإنسانية النبيلة وتشعر القراء بحريتهم وتستدرجهم للاستمتاع بها .

الكتابة مطلب وجودي يتمظهر في شكل واجب ينظر من القارئ القيام به من خلال الوعي بحريته واستثمارها . إن لجوء الكاتب إلى القارئ كي يشارك في تحقيق المشروع الإبداعي، هو اعتراف منه بحرية القارئ، بل إن المجهود العظيم الذي يبذله كل كاتب قبل إصدار عمله لأكبر دليل على هذا الاعتراف بحرية المتلقي الذي قد يرمي العمل برمته في وجه كاتبه إن أظهر هذا الأخير نفاقا أو تحايلا على حريته.

حرية القارئ معطى وحرية الكاتب مواز. وكل مشروع يجمعهما هو مشروع يستند على خلفية احترام حرية الآخر واستحضار كرامته. إنه تعاقد بين طرفين متكاملين لاغنى لأحدهما عن الآخر، ولا سلطة لهذا على ذلك. هذا التعاقد بين القارئ الحر والكاتب الحر يمكن فهمه على خلفية التعاقد بين الأحرار في المشروع المجتمعي العام: فالكاتب، وهو صورة الحاكم المفترض، يقترح مشروعا لتجديد المجتمع برؤية ذاتية على القارئ ، وهو صورة للمواطن المفترض الذي قد يصادق وقد يرفض المشروع...ولذلك فالقارئ يطلب من الكاتب المسؤولية العلمية وتمجيد الحرية كقيمة مطلقة، كما يعتز بمشاركة الناقد/القارئ في التقديم للكتاب مما يسمح بالمقارنة بين الرأي والرأي الآخر، بين القراءة والكتابة، وهو ما يكسب الكتاب خاصية متعددة الأبعاد .

لكن، بعد احترام حرية القارئ وفسح المجال لأقلام أخرى للتقديم للكتاب، تبقى أهمية اختيار العنوان والغلاف ليست بالتافهة فهي واجهة الكتاب. مثلها في ذلك مثل السيرة العلمية على ظهر الغلاف.

### III -) السيرة العلمية :

أهمية السيرة العلمية على ظهر الغلاف تكمن في كونها تصنع للكتاب سياقاً علمياً قد يغير من قيمة الكتاب 180 درجة تحت تأثير السيرة العلمية بشواهدا وجوائزها وإصداراتها ومسئولياتها العلمية والجمعية...ولعل أفضل طريقة للكاتب الناشئ المتطلع إلى تحرير سيرة علمية متميزة هو تسطير أعماله القادمة تحت عبارة " له قيد الإعداد للنشر " على ظهر الغلاف. وهو ما سيفهمه القارئ برنامجاً علمياً مسؤولاً سيعكف الكاتب على إخراجها للوجود لاحقاً. كما أنه سيوفر على القارئ السنين الطوال. فهذه الطريقة، و عوض انتظار عشر سنوات مثلاً لتكوين فكرة عن الكاتب، يمكن تكوينها عنه الآن، ومنذ الإصدار الأول. لذلك كان من الأفضل للكاتب الناشئ أن يتروى في نشر كتابه الأول إلى حين انتهائه من الكتاب الثاني وتحديد برنامج العمل المستقبلي وعناوين الإصدارات القادمة لإدراجها على صفحة الغلاف الخلفية.

### IV)-النشر على وسائل الإعلام المكتوبة كسبيل للتعريف بالكتاب :

لأن الوصول إلى القارئ هدف لا محيد عنه، فلقد كان من الأهمية بمكان أن يفكر الكاتب جدياً قبل كل إصدار فيما سيفعله قبل النشر وبعده لضمان وصول كل كتاب إلى قارئه. ولذلك فمن المقترحات المفيدة للكاتب الناشئ قبل إقدامه على نشر كتابه في حلته النهائية أن ينشره على حلقات على منابر إعلامية مقروعة وعلى مواقع إلكترونية كثيرة الزوار و متميزة ثقافياً.

أما بعد النشر فمن المهم أن يعمل الكاتب، إما بالتعاون مع نظرائه من الكتاب الناشئين أو بشكل فردي في حالة الضرورة، على إصدار جريدة خاصة تسبق خروج الكتاب لسوق القراء أو تصاحبه. ومهمة هذه الجريدة التي لا تنشر شيئاً آخر غير النسخة الكاملة للكتاب وصورة الغلاف وصورة الكاتب وسيرته الذاتية، هي إيصال الكتاب إلى المناطق النائية من البلاد التي قد تصلها الجريدة دون الكتاب، وتمكين ذوي الدخل المحدود من قراءة الكتب التي تتجاوزهم من حيث الثمن. أن إصدار كتاب مباشرة على صفحات جريدة فصلية تصدر خصيصاً للترويج له والتعريف به في خمسة آلاف نسخة أو أكثر وتوزع في كل ربوع البلاد ويقروها على الأقل متلق واحد، تضمن بكل تأكيد إشعاعاً أكبر. هذا الإشعاع الممكن مضاعفته بخلق تواصل بين الكاتب والقارئ على الصفحة الأولى من الجريدة بسلك عدة طرق:

1- وضع اعلان حول إمكانية بيع الكتاب عبر البريد التقليدي مع التنصيص على الثمن وطريقة التسديد وعنوان المرسل إليه ...

2- عرض صورة الكاتب وسيرته الذاتية وعناوينه البريدية التقليدية الإلكترونية ورقم هاتفه لتقريب الكاتب من القارئ...

بهذه الطريقة، سيدخل الكاتب الناشئ المكتبة بالكتاب وسيلج الكشك على الجهة الأخرى بالكتاب في جريدة، وسيفتح الجسور مع كل القراء بكل الأثمنة ( ثمن الكتاب و ثمن الجريدة ) وسيؤسس لثقافة جديدة تلتف حولها كل الفئات من القراء.

## (VI) - توقيع الكتاب: الوظيفة والدلالة

الحرص على توقيع الكتاب هو حرص على كسب مروجين جدد للكتاب. إن التوقيع الجميل للكتاب هو وظيفة فعالة قد تحول الزبون- القارئ إلى مشهر للكتاب، لأنه يؤمن بأن في الكتاب جزء منه باعتراف الكاتب، وبخط يده، وأكثر من ذلك، على الصفحة الأولى من الكتاب ...  
والتوقيع الجميل هو ما أظهر معرفة بشخصية أو اهتمامات الزبون- القارئ الذي يتوقع من الكاتب أحد الأمرين، أو كليهما:

- (1) - أن يكشف له طاقاته الدفينة ويعترف له باهتماماته: "إلى عاشق القراءة فلان الفلاني" ...
  - (2) - أو أن يقربه منه كصديق عزيز، أو غير ذلك: "إلى الصديق العزيز فلان الفلاني" ...
- وتوقيع الكتاب ليس حكرًا على حفلات التوقيع التي قد تقيمها جمعية ثقافية أو دار شباب للكاتب لتقديم كتابه والتعريف به ومناقشة مضامينه. بل التوقيع يكون أكثر فعالية إذا ما وسع دائرة اشتغاله، مثل:
- (أ) - توقيع قبلي أو بعدي للكتب المقتناة من عند الموزعين الفرديين للكتاب حسب معرفة الكاتب بالزبناء القراء أو نزولا عند رغبة هولاء في اقتناء نسخهم من عند الموزعين الفرديين موقعة.
- (ب) - تعليق إعلان على واجهة مكتبة فاعلة يخبر فيها الكاتب القراء عن مساء محدد لتوقيع كتبه داخل المكتبة المحددة. وفائدة هذه المبادرة مزدوجة: فمن جهة، فهي تحشد الزبناء - القراء وتروج للكتاب وتثير فيهم الفضول وحب الاستطلاع والرغبة في رؤية الكاتب عن قرب. ومن جهة ثانية، فأرباح المكتبة تنتعش إذ لا يمكن أن يدخل عاشق للقراءة مكتبة تحتفل بلقاء كاتب مع القراء بين صفوف الكتب ولا يثير هذا الجو النبيل الرغبة في تصفح كتب جانبية وشراء أخرى معروضة.

## (VII) - أشكال المتابعة الصحفية للكتاب الحديث الصدور:

- الكتاب، مثل النبتة، بحاجة للسقي والرعاية والاهتمام. وكلم صنعت الظروف الملائمة، نما الكتاب وازدهر وانتشر. وكلما ترك الكتاب لوحده مات عطشا وحسرة. فلتوفير شروط انتشار الكتاب، وجب العمل على الواجهتين:
- (1) - الواجهة الورقية: صحافة مكتوبة، سحب مقالات عن الكتاب من مواقع إلكترونية وتوزيعها على الأصدقاء والمهتمين والزبناء القراء...
  - (2) - الواجهة الإلكترونية: إنشاء موقع على الشبكة الدولية للمعلومات يكون مداوما ثقافيا ينوب عن الكاتب في غيبته ويمد الزوار من المبحرين بالمعلومات المطلوبة. ويعرف بالكاتب لدى مواقع أخرى وبإصدارات ومخطوطاته. أما عن برنامج المتابعة فهو عبارة عن حلقات متشابكة غير منفصلة:
- (1) - تغطيات صحفية: تعريف سطحي وبسيط بإصدار على صفحات جريدة أو مجلة...
  - (2) - حوارات: فضاء للأخذ والرد بين الكاتب ومحاور يمثل القراء وينوب عنهم في طرح الأسئلة.
  - (3) - شهادات: يكتبها الكاتب عن تجربته في العمل الصادر.
  - (4) - قراءات نقدية: وهي أرقى ما يكتب عن الإصدار الجديد كونه يستفيد من التغطيات الصحفية ومن شهادة الكاتب عن أعماله وأشكال اشتغاله.
- أما التغطية الصحفية، فتبدأ بإرسال الكتاب لجريدة أو مجلة أو قناة إذاعية / تلفزيونية ... وهي دليل القارئ للإصدارات الجديدة. ولتشغيل هذه الوسيلة بانتظام لفائدة حضور الكتاب في الصحف ورواجه في المكتبات، يمكن اللجوء إلى تغطية كل أسبوعين باهداء نسخة من الكتاب إلى صحيفة من الصحف الواسعة الانتشار. وبذلك تضمن الحضور على الصحف بمدة 6 أشهر متتالية.
- أما الحوار، فهو بالنسبة للقارئ فرصة لإزالة اللبس عن بعض المفاهيم وطرح بعض الإشكالات. لكنه بالنسبة للكاتب فرصة لتقديم العمل وكسب ود القارئ وطرح برنامج العمل للسنوات القادمة ...
- أما بالنسبة للشهادات، فهي كتابات حول كواليس الكتابة قبل صدور العمل في طبعته النهائية: فقد تركز على المرجعيات أو الصعوبات أو القدرات الذاتية أو الانجازات والنجاحات المحققة ...
- أما بالنسبة للقراءة النقدية، فهي كتابة واعية للعمل الصادر ينجزها ناقد متمرس مهمته ليس التعريف بالكتاب لان تلك مهمة الصحفي المكلف بالملاحق الثقافية، وإنما مهمته البحث عن الهدف وراء كتابة العمل ثم مساعدة الأدوات التي من خلالها يعبر العمل عن ذاته.
- و مجموع هذه المتابعات ينشر على الموقع الإلكتروني ويستنسخ في نسخ كربونية ليوزع على الأصدقاء والأصدقاء من لجان التوزيع الذين يضعونه رهن إشارة المهتمين.

الإهداء عملية ضرورية تسبق أو تواكب التوزيع التقليدي لكل كتاب. إنها تعرف بالكتاب لدى مجتمع النخبة وتخلق العلاقات الإبداعية والعلمية بين النخب وتختصر الوقت في الوصول الفاعلين الحقيقيين الذين يختارهم الكاتب طبقاً لمادة كتابه. لذلك فالنخبة المعنية بالإهداء قد تكون:

- باحثين مهتمين بموضوع الكتاب.
- نقاد متمرسين.
- منشطي برامج ثقافية تلفزيونية أو إذاعية.
- مخرجين سينمائيين وكتاب سيناريو ( في حالة ما إذا كان الكتاب عملاً سردياً).
- ملحنين موسيقيين ( في حالة ما إذا كان الكتاب ديواناً شعرياً).

## (IX)-إعداد وتوزيع خلايا التوزيع:

هناك طريقتان لاقتناء الكتاب :

(1)- ذهاب القارئ للكتاب وهو تقليد يميز المجتمعات المتحضرة، حيث تقاليد القراءة متجذرة.  
(2)- ذهاب الكتاب للقارئ وهو محاولة للرقى بالقراءة في المجتمعات غير الآبهة بالقراءة أو حيث الكاتب ناشئ ولا يزال يعرف بنفسه لقرائه المستقبليين، أو حيث تعاني الشعوب من التضيق على حريات التعبير و القراءة ...  
ولأن لكل مجموعة ثقافية شكل مناسب من أشكال التوزيع ، ولكل كاتب طريق خاص للوصول إلى القارئ فإن خير وسيلة للوصول للكتاب الأول إلى القارئ هو ذهابه إليه في عقر داره من خلال موزع صديق عاشق للكتاب والقراءة. وهذا يطرح سؤالاً مهماً حول أشكال التوزيع ...  
فالتوزيع يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع متكاملة :

- (1)- توزيع على القراء، توزيع من اليد إلى اليد.
  - (2)- توزيع على الأكشاك والمكتبات .
  - (3)- توزيع على المؤسسات والجمعيات.
- النوع الأول هو التوزيع من اليد إلى اليد وهو مهم للغاية لأنه يضع الكتاب في سياقه الطبيعي : صديق يقدم لصديق كتاباً يختاره له ويحبه له. والريح الكبير هنا هو في التقليد الحضاري: "تبادل الهدايا بالكتب"، "الحديث عن الكتب"، "ترويج اقتصاد الكتب"... وتنظيم هذا النوع من التوزيع قد يجعله أكثر فاعلية وذلك إما :
- (1)- بالتوزيع الفردي المباشر: فرد يوزع النسخ على قراء يختارهم .
  - (2)- أو بالتوزيع العنقودي: وهو أكثر اقتصاداً للجهد وللوقت بحيث توزع مجموعات من الكتب على مكلفين بالتوزيع في مناطق جغرافية متباعدة. وهؤلاء المكلفين يوزعون حصصهم بالتوازي على مكلفين تحت مراقبتهم. ويستمر التشعب العنقودي إلى أن يصل كل كتاب إلى قارئه .
- ويبقى من الضروري أن يلم الموزع بالكتاب بعد جلسة مع الكاتب يحضرها كل الموزعين الرئيسيين. فالقارئ يفضل شراء كتاب من يد موزع صديق للكاتب، مثلما يعشق شراء كتاب موقع بقلم الكاتب. ومن بين الأسئلة التي يجب على الموزع الفردي الإلمام بها:

- (1)- سيرة الكاتب وخلفيته المعرفية.
- (2)- مضمون الكتاب وإشكالاته .
- (3)- الإضافة التي يحملها الكتاب للمكتبة الثقافية.

ومن المهم أن يسبق التوزيع اليدوي التوزيع عن طريق المكتبات كي يساهم في التعريف بالكتاب بطريقة حيوية وسريعة. حتى إذا ما راج الحديث والنقاش حول الكتاب، كبر الطلب على الكتب لتبدأ المرحلة الثانية، مرحلة التوزيع عن طريق المكتبات والأكشاك...

الموقع الجغرافي للكشك أو المكتبة مهم: فالمحطة الطرقية والشارع الرئيسي للمدينة من الأماكن المفضلة لعرض الكتاب الحديث الصدور. فكشك المحطة الطرقية يضمن للكاتب السفر في الاتجاهات الأربع، شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً. كما أن العرض على فيترينات مكتبات الشوارع الرئيسية للمدن أكثر أهمية بالنسبة للكاتب الناشئ الذي لا زال يحتاج إلى ترويج اسمه. ذلك أن وقوف ألف قارئ أمام الفترينة لمدة 30 ثانية قبالة غلاف كتابه خير له من قارئ واحد يشتري نسخة واحدة خلال الثواني الأولى لعرضها على الفترينة. فمن ينكر أن أكثر من 80% من معارفنا عن الكتب والكتاب كونها فقط عن طريق أغلفة الكتب وما قيل ويقال عنها؟!...

ولذلك فالعرض على الفترينات مهم للغاية خصوصا في المواقع الجغرافية التي تعج بالقراء وزبناء الكتب. ومن المفيد إهداء نسخ كربونية مما كتب عن الكتاب من حوارات أو شهادات أو تغطيات أو قراءات نقدية إلى الكتبي. فذلك يخلق في نفس هذا الأخير الحماس لترويج الكتاب وقد ينصح به زبناء هو الأدرى باهتماماتهم .

1- أما النوع الثالث من التوزيع، فهو التوزيع بالجمللة ويخص:  
الجمعيات مقابل خصم مشجع (25% أو 30%) يجعلها تلعب دورها الحقيقي: خلق القارئ وزرع بذور القراءة والحرية.

2- المؤسسات التعليمية مقابل خصم لفائدة التعاونية المدرسية (10% أو 20%) بحيث تصبح المدرسة حلقة وصل حقيقية بين التربية والثقافة.

3- المجالس البلدية ضمن صفقات المؤلفات المخصصة لفائدة الخزانات العمومية بالمدينة وهدايا تكريم الموظفين المتقاعدين والجوائز المخصصة للمتفوقين من التلاميذ والطلبة في آخر السنة .

4- وزارة الثقافة في إطار دعم الكتاب عبر اقتناء مجموعة من النسخ لتعميمها على الخزانات العمومية وطنيا.

## (X)-التوزيع عن طريق شركات التوزيع:

بعد التوزيع اليدوي على الأفراد والاكشاك والمكتبات على صعيد المدينة أو الإقليم أو الجهة، لمدة تناهز الثلاثة اشهر، يمكن توسيع رقعة التوزيع عن طريق شركات التوزيع على المستوى الوطني لكن الخصم سيرتفع إلى ما بين (40% و 50%) من كلفة الكتاب. كما سيشتراط العقد المبرم مع الشركة عدم منافستها في التوزيع. وهذا يتطلب جمع ما تبقى من النسخ المودعة في الأكشاك والمكاتب وإخلاء الساحة للتوزيع المؤسساتي الصرف لمدة ستة اشهر، أو حسب الاتفاق. بعدها تنتهي صلاحية التوزيع عن طريق الشركة ويتسلم الكاتب عائداته ومرجوعاته من الكتاب. لكن تبقى المرحلة الأخيرة من عمر الكتاب، بعد كل جهود التعريف والترويج والتوزيع . إنها "مرحلة الإهداء للعموم " وقوام هذه المرحلة هو " الوصول بأي ثمن الى القارئ ولو بالإهداء المجاني".

تبدأ "مرحلة الإهداء للعموم" بإرسال نسخ إلى المكتبات الجامعية والحصول على وصل يثبت وصولها للرفوف أو برسالة من عميد الكلية يثبت ذلك. بعد ذلك، يمكن اللجوء إلى إعلان يوزع على الصحف الواسعة الانتشار ووسائل الإعلام السمعية و البصرية يخبر فيها عموم القراء بأن الكاتب الفلاني يضع رهن إشارة القراء أو المستمعين أو المشاهدين بالمجان كتابه المعنون كذا ، وللحصول على النسخة – الهدية ، يرجى الاتصال بالكاتب على العنوان البريدي التالي مرفوقا بطابع بريدي من فئة كذا درهم وظرف بريدي بمقياس 26x18 سنتمرا أو 24x16 سنتمرا ، حسب حجم الكتاب.

## (XI)- تركيب:

إذا كان الأدب شكلا من اشكال النضال ضد كل اشكال الظلم والتهميش والإقصاء، فإن الأمر يتطلب تخطيطا وعملا ممنهجا يضع اولى أولوياته الوصول إلى القارئ بأي ثمن ومساعدته على معانقة الحرية والانعقاد.  
إن القارئ يتوقع كتابا يحترمه، لإيمانه بأن الكتابة أداة تواصل راقية تحرر المشاعر الإنسانية النبيلة وتشعر القراء بحريتهم وتستدرجهم للاستمتاع بها . أما بعد عملية الكتابة فتبقى عملية التوزيع هي السيف الفاصل بين الفشل والنجاح تحقيق الاهداف النبيلة للكتاب. ولذلك أمكن الكاتب الناشئ التدرج في توزيع كتابه من الدوائر الصغيرة (دوائر الأصدقاء) إلى الدوائر الأكبر (دائرة القراء المحليين في المدينة وأكشاكها) إلى دوائر الأصدقاء خارج المدينة الذين يعرفون بالكتاب في ربوع ارض الوطن(في جامعاتهم ومقرات عملهم ومحطات اسفارهم وحتى في جلساتهم العادية في المقاهي بمجرد وضع الكتاب على المائدة أمام اعين الرواد والمارة)، مروراً بالتعامل مع شركات التوزيع ثم بيع المرجوعات إلى مكتبات "خدمات الكتاب" بخصم قد يصل إلى 70% أو إهدائها إلى القراء عبر البريد التقليدي، وهو ما يتطلب عرض إعلانات سابقة على وسائل الإعلام السمعية والمرئية والمكتوبة . أنذاك يكون الكاتب قد أنهى مهمته وبلغ أمانته وظهر ضميره وعانق التاريخ.

# الفهرس

- الفصل الأول: لماذا لا نقرأ؟  
الفصل الثاني: القراءة كرافعة للتنمية المستدامة  
الفصل الثالث: القراءة والصورة، تكامل أم تصادم؟  
الفصل الرابع: الكتاب للجميع، الأشكال الأربعة للقراءة  
الفصل الخامس: القراءة في زمن العولمة والعصر الرقمي، الكتاب الإلكتروني نموذجاً  
الفصل السادس: اقتصاد القراءة وسياسة القراءة  
الفصل السابع: شعب القراءة والمحيط الاجتماعي لقراء الغد  
الفصل الثامن: القراءة والذات (تحقيق كتب التراث) القراءة والآخر (ترجمة)  
الفصل التاسع: فصل المقال فيما بين القارئ والطالب من اتصال  
الفصل العاشر: الشراكة ودعم القراءة  
الفصل الحادي عشر: عودة القراءة من عودة المثقف  
الفصل الثاني عشر: نحو إحياء واع بمسؤولياته التاريخية  
الفصل الثالث عشر: القراءة في صميم الحياة اليومية  
الفصل الرابع عشر: لا تغيير دون المرور من بوابة القراءة  
الفصل الخامس عشر: القراءة وتكوين القيمين عليها في مجالات الثقافة والتعليم  
الفصل السادس عشر: دليل الكاتب الناشئ إلى عالم الكتابة والنشر والتوزيع في مجتمعات الامية وضعف القراءة والتضييق على الحريات



## السيرة الذاتية لمحمد سعيد الريحاني

محمد سعيد الريحاني، كاتب و مترجم وباحث في الفن والأدب من مواليد 23 ديسمبر 1968، عضو هيئة تحرير "مجلة كتابات إفريقية" الأنغلو فوننية *African Writing Magazine* والصادرة من مدينة بورنموث *Bournemouth* جنوب إنجلترا، عضو اتحاد كتاب المغرب. صدر له: "الاسم المغربي وإرادة التفرد"، دراسة سيميائية للإسم الفردي (2001)، "في انتظار الصباح"، مجموعة قصصية (2003)، "موسم الهجرة إلى أي مكان"، مجموعة قصصية (2006)، "الحاءات الثلاث"، أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة (صادرة في ثلاثة أجزاء على ثلاث سنوات 2006-2007-2008)، "موت المؤلف"، مجموعة قصصية (2010)، "حوار جيلين" (مجموعة قصصية مشتركة مع القاص المغربي إدريس الصغير) 2011...

له قيد الإعداد للطبع: "وراء كل عظيم أقزام" (مجموعة قصصية)، "2011، عام الثورة" (مجموعة قصصية)، "التوازي والتعاقد في مسارات القصة القصيرة بالعالم العربي" (دراسة مقارنة)، "المدرسة الحائنية، مدرسة القصة العربية الغدوية" (حوارات، بيانات، قراءات)، "خمسون قصة قصيرة جدا" (الحاء الأولى: حاء الحرية)، "خمسون قصة قصيرة جدا" (الحاء الثانية: حاء الحلم)، "خمسون قصة قصيرة جدا" (الحاء الثالثة: حاء الحب)...

أشرف على الترجمة الإنجليزية للنصوص القصصية المكونة للقسم المغربي في أنطولوجيا "صوت الأجيال: مختارات من القصة الإفريقية المعاصرة" *Speaking for the Generations* التي أعدتها جامعة أوليف هارفيه بولاية تشيكاغو الأمريكية ونشرتها دارا نشر "ريد سيه بريس" و"أفريكا وورلد بريس" في ترنتن بولاية نيو جيرسي الأمريكية، يونيو 2010.

كما أشرف على ترجمة خمسين (50) قصة وقاصا مغربيا إلى اللغة الإنجليزية ضمن أنطولوجيا "الحاءات الثلاث: مختارات من القصة المغربية الجديدة" وهو مشروع ثلاثي الأجزاء صادر في نسخته الورقية العربية على ثلاث سنوات: "أنطولوجيا الحلم المغربي" سنة 2006، "أنطولوجيا الحب" سنة 2007، و"أنطولوجيا الحرية" سنة 2008 تقصد منذ بداياته، تحقيق ثلاث غايات أولها التعريف بالقصة القصيرة المغربية عالميا؛ وثانيها التعبئة بين أوساط المبدعات والمبدعين المغاربة لجعل المغرب يحتل مكانته الأدبية كعاصمة للقصة القصيرة في "المغرب العربي" إلى جانب الجزائر عاصمة الرواية وتونس عاصمة الشعر؛ وثالثها التأسيس لـ "المدرسة الحائنية"، "مدرسة" قادمة للقصة القصيرة الغدوية عبر هدم آخر قلاع العتمة في الإبداع العربي (الحلم والحب والحرية) واعتماد هذه "الحاءات الثلاث" مادة للحكي الغدوي التي بدونها لا يكون الإبداع إبداعا.

عنوان الموقع الإلكتروني: <http://www.raihani.ma>

العنوان البريدي: ص.ب 251، مدينة القصر الكبير 92150 / المغرب